

التناص القرآني في شعر "أحمد الغوالي"

د. يمينة سعودي *

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي-

Yamina.saoudi@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/21	تاريخ التقييم: 2025/05/02	تاريخ القبول: 2025/06/04
---------------------------	---------------------------	--------------------------

ملخص :

يتناول هذا البحث التناص القرآني في شعر أحمد الغوالي باعتباره ظاهرة أسلوبية تجعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية قوية ، تزخر بجوانب إنسانية وقيم أخلاقية ، كما تطرق إلى مدى تأثير الشاعر بالقرآن الكريم الذي وظفه في نصوصه الشعرية متفاعلاً معه فأسهمت هذه النصوص القرآنية في البناء الفني لقصائده وعمقت أفكاره ، وجدت أساليبه الفنية والبلاغية وفجرت طاقات كامنة لنصوصه الشعرية .

الكلمات المفتاحية : التناص - التناص القرآني - أحمد الغوالي.

Summary

This research explores **Quranic intertextuality** in the poetry of **Ahmed Al-Ghoulami**, considering it as a stylistic phenomenon that grants poetic texts a strong influential power, rich in human aspects and ethical values. It also examines the extent to which the poet was influenced by the **Holy Quran**, integrating it into his poetry in a way that interacts with its meanings. This Quranic intertextuality contributed to the artistic structure of his poems, deepened his ideas, renewed his literary and rhetorical techniques, and unleashed hidden potentials within his poetic texts.

Keywords: Intertextuality - Quranic Intertextuality - Ahmed Al-Ghoulami.

*المؤلف المراسل

التناص

لكلمة "نص" في المعاجم العربية عدة مفاهيم مختلفة وكثيرة وكلها. تلتقي عند أصل واحد لمادة "نص" فعند ابن منظور تعني ، رفعك الشيء ، نص الحديث ينصهنا : رفعه وكل ما أظهر فقد نص¹. أما في المعجم الوسيط ، ورد في " مادة نصص " معانٍ منها نصّ على الشيء وعيّنه وحدده ، يقال نصّ الحديث ، رفعه وأسندته للمحدث عنه .

ويعد مصطلح التناص من المصطلحات الهامة التي تعالت حولها الأصوات ، وذلك لما تشهده من رواج كبير في حقل الدراسات الحديثة ، حيث ظهر أول مرة على يد الباحثة الفرنسية " جوليا كريستيفا " التي تعرف التناص فتقول : " إن كل نصّ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نصّ هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى³. إلا أنه يرجع إلى أستاذه الروسي " ميخائيل باختين " وإن لم يذكر هذا الأخير المصطلح صراحة واكتفى بتعديده الأصوات والحوارية وحللها في كتابه " فلسفة اللغة " وكتاباتة عن الروائي الروسي (ديستوفسكي) .

ثم توالى الدراسات حول هذا المصطلح والتقى حوله عدد كبير من النقاد الغربيين. وتوسع الباحثون في تناوله ، فاتسع مفهوم التناص وأصبح بمثابة ظاهرة نقدية جديدة وجديرة بالدراسة والاهتمام ، فذاع صيتها بين الأوساط الفكرية الغربية ، وتلقفها عدد غير قليل من النقاد الغربيين : كرولان بارت و جيرار جينيت ولوران جيني وريفاير وغيرهم بالدرس والتنظيم والإثراء .

وأخذت هذه الأبحاث مسميات مختلفة كالتعالى النصي أو التخارج النصي أو التفاعل النصي أو النص الغائب.... وقد كان لها الأثر الكبير في الدراسات النقدية العربية المعاصرة ، حيث وصلت إلينا تلك الدراسات عبر المثاقفة والترجمة. وإسهامات النقاد العرب الذين حملوا لواء التنظيم والتطبيق والتنوير " كمحمد مفتاح " و " محمد بنيس " و " سعيد يقطين " و " عبد العزيز حمودة " و " عبد الله الغدامي " ، وغيرهم .

فيرى محمد مفتاح أن التناص هو : " فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت بتقنيات مختلفة "4. والأكثر من ذلك يعده : " ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين ، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح "5.

وبذلك فمحمد مفتاح يرى أن هذه الصعوبة في القبض على التناص الموجود في النصوص الأدبية لا يمكن أن تتاح إلا بمجموعة من الآليات كالتطابق و التفاعل والتحرر والقلب هذه الآليات التي يختلف وجودها من نص لآخر ، فقد تزيد أو تنقص .

أما الناقد " محمد بنيس " فيعد أول من نقل مصطلح التناص إلى اللغة العربية في كتابه " ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب " 1979 " وقد ترجمه وقتها " بالنص الغائب " ، ثم عاد سنة 1988 واستخدم مصطلح " هجرة النص " ، وهذا السياق قدم مفهومي : النص الأثر والنص الصدى ، حيث يحدد " محمد بنيس " النص الأثر باعتباره النص الذي يمارس الهجرة ، فيما النص الصدى هو الذي لا يمارسها وقد استخدم هذا المصطلح " هجرة النص " ، في كتابه " حداثّة السؤال كما نجده قد أطلق عليه مصطلح " التداخل النصي " سنة 1989 في كتابه " الشعر العربي الحديث : بنياته وابدائها " ، والتداخل النصي عنده " يحدث نتيجة تداخل نص حاضر مع نصوص غائبة والنص الغائب هو

الذي تعيد النصوص كتابته وقراءته، أي مجموعة النصوص المستترة التي يحتويها النص الحاضر وتعمل بشكل باطني عضوي على تحقق هذا النص وتشكل دلالاته " 6.

ويبقى مصطلح النص الغائب علامة مسجلة "لمحمد بنيس" كمعادل لمصطلح التناس ، إذ يشير إلى أن العلاقة الرابطة والصلات الوثيقة بين النص وغيره من النصوص الأخرى سواء كانت سابقة عليه أو معاصرة له رعاها الشعراء والنقاد منذ القدم.

كما يضع معايير ثلاثة تتخذ صيغة قوانين لقراءة النص الغائب وهي الاجترار والامتصاص والحوار⁷. ومن بين الدارسين أيضا الذين اهتموا بمفهوم التناس سعيد يقطين الذي فضل مصطلح "التفاعل النصي" بدلاً من التناس ، مبرراً سبب اختياره حيث يقول : " التفاعل النصي " مرادفا لما شاع تحت مفهوم " التناس أو المتعاليات النصية كما استعملها " جنيت " بالأخص بفضل "التفاعل النصي " بالأخص لأن "التناس " في تحديدنا - الذي ننطلق فيه من "جنيت" . ليس إلا واحداً من أنواع التفاعل النصي " 8.

فقد اهتم الناقد بظاهرة التفاعل النصي ، وكرس جهده لتبسيطها وتقديمها للباحث العربي ، فذهب إلى أن الكتابة الأدبية إبداع مستمر لا ينتج من العدم، بل ينطلق دائما من إبداعات سابقة أو معاصرة إذ ينتج كل كاتب نصوصها لإبداعية في بنيات نصية سابقة أو معاصرة وهذه البنيات النصية تساهم في تولد النصوص الأدبية. وقد قسمها إلى قسمين القسم الأول يتمثل في "بنية النص " و يتصل بعالم النص " ثم القسم الثاني سماه " بنية التفاعل النصي " و لتحديد أنواع التفاعل النصي ميّز بين المناصة، والتناس، والميتانصية ، وإضافة إلى هذا التقسيم عمل " يقطين " على التمييز بين أشكال التفاعل التي تمثلت في : التفاعل النصي الذاتي والتفاعل النصي الداخلي ، ثم التفاعل للنصي الخارجي.

كما أكد سعيد يقطين على أهمية التناس ودوره بقوله " إن جدوى هذا المفهوم لا يمكن أن ينكرها أحد ، لقد أعطى دفعة جديدة للدراسة الأدبية وجعلها تنمو مختلفة كما كانت عليه في أواخر الستينات « (يقطين، 2006، صفحة 92)

ويعد عبد الملك مرتاض من الباحثين الجزائريين القلائل الذين تعاطوا مصطلح التناس ، واشتغلوا عليه في تحليل الخطاب الأدبي وأشار إلى ذلك من خلال قوله : " التناس تفاعل وتبادل العلاقة بين نص وآخر إما على سبيل التضاد تبادل التأثير والتشرب، والتأثير والتضاد، والتشابه و المعارضة ... وهو إن شئت تلاقي أفكار، وانضمام أطراف أو توارد خواطر " 9.

كما قدم عبد الملك مرتاض من خلال كتابه "نظرية النص الأدبي " . دراسة ممتعة عن نظرية التناس عند العرب وفي النقد العربي المعاصر، كما تحدث باستفاضة عن مسارات مفهوم التناس عند العرب . ورصد تجليات هذه النظرية في النقد الغربي المعاصر كما أشار إلى الفكر النقدي العربي القديم وأنه عرف هذه الفكرة معرفة معمقة تحت مصطلح (السرققات الشعرية وأن "ابن طباطبا العلوي " هو صاحب مشروع نظري متكامل لنظرية التناس وأنه كان ذا وعي معرفي كبير بهذه المسألة كما استعرض عبد الملك مرتاض عند مناقشته لنظرية التناس تأسيسات "ابن رشيق " وسلط الضوء على " حازم القرطاجني " و "ابن خلدون " وإسهاماته في نظرية التناس ...

ونجد عبد الملك مرتاض قد اقترح مصطلح " التكتاب " الذي برهن على إطلاقه مواءمته للمفهوم من خلال قوله "إن مصطلح التكتاب ينصرف إلى تأثير الكاتب بكتابات أخرى ، بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة وطبيعتها "10.

أما عن المبررات التي استند إليها الباحث لإطلاق هذا المصطلح تشير إلى :

- أن التناص هو عام يشمل اللغة والأسلوب والأفكار السابقة المكتوبة .
- أن التكتاب أكثر خصوصية من ذلك التناص .
- أن التناص مفهوم اغتدى يطلق على كل شيء ، مما يجعل من إطلاقهم تبادل التأثير بشكل أو بآخر .

والتناص الذي يعتبر من أبرز التقنيات التي عني بها أصحاب الشعر الحديث واحتفوا بها ، بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً وغنى يسهم في النأي به عن حدود المباشرة والخطابة ، هو التناص القرآني الذي يمكن القول عنه أنه التناص الأكثر انتشاراً بين شعراء العصر الحديث .

1. التناص القرآني :

يعد النص القرآني مصدراً ثرياً من مصادر الإلهام الشعري الذي يفيء إليه الشعراء يستلهمونه، ويقتبسونه منه إن على مستوى الدلالة والرؤية أو على مستوى التشكيل والصياغة، لذلك فالتناص القرآني بمفهومه العام دخل في مجالات الحياة الاجتماعية وفي كافة العلوم ولا سيما العلوم الإنسانية من فلسفة وتاريخ و آداب و بمفهومه الخاص الذي يكمن في الأعمال الأدبية النثرية والشعرية . فإن استخدم الأديب أو الشاعر نص الآية فهذا التناص خارجي وان استخدم مفهومها فهذا يعتبر تناصاً داخلياً. وهو يقوم على استحضار نص الآية القرآنية أو مفهومها ، ولأن القرآن الكريم يتسم بذورة البيان والفصاحة وبوصفه كتاباً دينياً فهو يمنح الخطاب الأدبي سمة التصديق فيجعله مفتوحاً على التأويل والتفسير في الذات الإنسانية.

فهو يعمل على إنتاج دلالة مؤازرة للنص بالتضمنين أو التلميح " ويكاد لا يخلو خطاب شعري حدثي من استدعائه وامتصاصه .. ويصل الامتصاص إلى درجة الذوبان حتى نكاد لا نفصل فيه بين الخطاب الحاضر والخطاب الغائب نتيجة لكثافة الاستدعاء من ناحية وامتزاجه بنسيج الخطاب الشعري من ناحية أخرى ، وهو امتزاج يكاد يتخلص نهائياً من السياق القرآني "11.

التناص القرآني في شعر الغوالي

والقرآن الكريم بألفاظه ومعانيه وتراكيبه وصوره المتنوعة كان حاضراً ماثلاً في شعر أحمد الغوالي الذي كان تأثره به واضحاً جلياً شأنه في ذلك شأن غيرهم من كان يغرف من القرآن الكريم الذي أحرص الفصحاء والبلغاء وأعجز الجميع على أن يأتوا بمثله، ولعل للبيئة الدينية والنشأة المحافظة التي نشأها الشاعر أحمد الغوالي أثرهما الجلي في شعره الذي تنوعت موضوعاته وأغراضه ، فهو حافظ للقرآن الكريم كما أنه أخذ مبادئ اللغة العربية و علومها وكذا مبادئ العلوم الشرعية كالفقه على يد مؤرخ الجزائر العلامة مبارك الميلي.

كما أنه جالس الإمام عبد الحميد بن باديس ونهل من دروسه التي كان يلقيها في الجامع الأخضر بقسنطينة.

وقد جاء استخدام الشاعر أحمد الغوالي للتناص القرآني من خلال أشكال عدة مثل استخدام مفردات منفردة أو مقترنة بلفظة أخرى أو اقتباس مباشر لنص قرآني .

ذلك لأن القرآن هو المعين الذي لا ينضب ، ولا تفتى عجائبه ، يرد آياته الشعراء والكتاب وغيرهم على حد سواء يتعلمون منها ويتناصون معها ، ليزيدوا قوة أساليبهم وليثبتوا معانيهم .

وقد كان استلهام الشاعر لآيات القرآن الكريم واستدعاءاته المتعددة لنصوصها بارزا جليا، خصبا ومتنوعا في ديوانه، وسع الفضاءات الدلالية وارتقى بالأبعاد اللغوية والفكرية للقصائد الشعرية لأنها وجدت في القرآن الكريم الكثير من العبر التي يعبر بها عن أفكاره الروحانية أو السياسية أو الاجتماعية .

ولأن الشاعر عاصر الاستعمار الفرنسي لبلاده فإننا نجد الكثير من قصائده تصور هذه الحقبة الزمنية المريعة، ونجد صيحاته من أجل الحرية والوحدة. ففي قصيدة عنوانها " يا شباب " نجده يدعو الشباب للوحدة والاتحاد من أجل تحرير المغرب العربي الذي كان يئن تحت وطأة الاستعمار فيقول 12 :

بشرقك يا شباب لاحا#فوجد مغربا نل الفلاحا

فلست بناهض إن حدث عنه#ولم تصنع بمصنعه السلاحا

ولم تنشي به أخلاق ذود#تصون وراثته وتزين ساحا

فدون مفاتيح الأقدار غيب#ومن لك أن ترى غيبا بواحا

ألا اعتصموا بحبل الله طرا# فحبل الحق لا يشكو الرزحا

هذه القصيدة التي نشرت سنة 1948م بتونس يتحدث فيها الشاعر عن الحركة السياسية في البلاد بعد الحرب العالمية الثانية وكيف أنها لم تحقق الآمال التي كانت تسعى إليها وكيف تجلت الوعود الكاذبة للاستعمار المخيبة لأحلام الشعوب العربية التي أقحمتها في الحرب. فالشاعر يدعو شباب الأمة إلى الوحدة وإلى الاتحاد ووضع اليد في اليد إن كان فعلا يريد الخلاص من براثن الاستعمار وتحقيق الحرية، فيتناص مع الآية الكريمة في قوله تعالى :

"وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)" الآية (103) سورة آل عمران .

فإذا كانت الآية تدعو إلى التعلق بأسباب الله جميعا أي بذكر الله والتمسك بالدين ، فإن الشاعر تناص مع هذه الآية بالذات ليدعو شباب الأمة أن يتمسكوا بعهد الله وكتابه وان يجتمعوا على كلمة الحق وأن يستعينوا أيضا بالله على عدوهم .

كما نلاحظ أن الشاعر وظف الآية كما وردت لجمال الأسلوب القرآني فأضفت على أبياته جمالا تعبيريا وصياغة فنية وأدبية.

وعن جرائم الاستعمار الفاضحة التي ارتكبتها في حق الشعب الجزائري

يقول الشاعر 13 :

قتل الكهل والبنين وأردى#خير نبت من اليفاع المراهق

صب فوق الجميع سوط عذاب#و عذابا مستفضعا غير لائق

يقطع الشدي للنساء ويسبي # محصنات وأخريات عواتق

فهو يصور أبشع ما كان الاستعمار يمارسه على الشعب الجزائري من قتل لكل الفئات العمرية من كهول وشباب وحتى أطفال ولا يفرق في ذلك بين النساء والرجال، فيسلط عليهم جميعا أفضع أنواع العذاب كأنهم في جهنم ، فتناص الشاعر مع قوله تعالى بالآية الكريمة كاملة في سورة الفجر "الَّذِينَ ظَفَعُوا فِي الْبِلَدِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)" سورة الفجر

فإذا كان الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات يعني عادًا و ثمودا و فرعون الذين عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا وأكثروا الفساد فسلط الله عليهم لونا من العذاب، والسوط غاية العذاب، فما المعصية التي ارتكبتها الشعب الجزائري حتى يسلط عليه الاستعمار الفرنسي هذا العذاب سوى أنه متمسك بأرضه يريد لها الحرية والاستقلال فالشاعر عبر بأسلوب التناص فيه مع القرآن ليؤكد على بشاعة الجرائم التي يلحقها المستعمر بالشعب المستضعف الذي ينادي بالسلام والحرية لا غير فهو لم يرتكب المعاصي ولم يتجبر ولم يفسد في الأرض.

وما زال الشاعر أحمد الغوالي يصور في شعرة مظاهر البؤس والشقاء والحرمان التي يعيشها الشعب الجزائري وخاصة فئة الطفولة التي حرمت من أبسط حقوق العيش الكريم كالتعليم الذي يخرجها من الظلمات إلى النور، فهو يدعو إلى الأخذ بيدها وحمايتها فيقول:14

" تعالوا نحتضن نشأ صغيرا # نعلمه الشريعة والكتا

خذوا بيد الطفولة واحرسوها # لها شقوا من النهضات بابا

وسوسوا الشعب نحو الرشد طرًا # وإلا ليتكم كنتم ترابا

وهو بهذا يستلهم قوله تعالى في سورة النبأ : " إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ كَيْفَ يَكُنْتُ تُرَابًا (40)" الآية 40 سورة النبأ

محاو لا باستظهارها أن يعقد نوعا من التماهي بين الحالتين فإذا كان الكافريوم القيامة يود أن يكون ترابا ولم يكن خلقا ولا خرج إلى الوجود ذلك لأنه عابن عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة ومعاصيه فيتمنى لو كان ترابا كالبهائم التي جعلت ترابا، فكذلك من ساهم في تشريد هؤلاء الأطفال وعدم حمايتهم وضياهم في ظلمات الجهل والامية فما عليه إلا أن يتمنى أن يكون ترابا لأنه خان الأمة وشعبها .

وما زال الشاعر يحاول استثمار التراكيب القرآنية في أشعاره ، فهي تضفي قوة وجزالة على النص، فالخطاب القرآني لا يضاهيه خطاب فهو نبع ثري لا ينفذ وهذا ما جعل نصوص الغوالي تشد المتلقي ليتفاعل معها ويكشف ماهية تفاعله مع النصوص الأخرى ففي قصيدة " علمي " يقول 15 :

علمي رفرف على كل الديار # بهلال نجمة ذات احمرار

تتهادى في بياض واخضرار # خافقا كالطير في جو الفخار

علم الشعب المفدى بالنفوس # رفرف اليوم على كل الرؤوس

راسما مجد الضحايا في الرموس # كاتب فوق الصفا أو في الطروس

علميانت نسيج قد تسامى # من ضحايا وأيامي ويتمامى

على رمز الحمى نور البصائر#يا سنا نائرة غبرى وثائر
في حمانا وبه تبلى السرائر#دم شعارًا قدسيًا للجزائر

هذا مأخوذ من قوله تعالى: "يَوْمُئِذٍ نَسْرَأُ" (9) الآية 9 من سورة الطارق -

أي تختبر سرائر الصدور ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه ففي الدنيا تكتم كثير من الأمور ولا تظهر عيانا للناس، وأما في يوم القيامة فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علنا والمكنون مشهورا ، فالشاعر استدعى موروثه القرآني ووظف الآية الكريمة ليخاطب من خلالها الاستعمار الفرنسي بأن جرائمه التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري ستتكشف يوم القيامة من خلال هذا العلم الذي ضحى من أجله مليون ونصف مليون شهيد من مختلف الفئات، فندسج هذا العلم مكون من ضحايا و أيامى ويتامى ، ضحوا ليبقى عاليا شامخا مرفرفا فوق كل الرؤوس بكل فخر وعزة .

إن الشاعر أحمد الغوالي عندما يستحضر الآيات القرآنية في نسيج أشعاره لا يستحضرها دائما كاملة ، بل يتقطع منها جزءا ثم يظهرها في نسيج خطابه الشعري محافظا على تلك النصوص في صيغتها الأصلية ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على وعيه بعملية التناص ، وذلك ما نجده في قوله في قصيدة " خلود الرجال بخلود أعمالهم " ، والتي نشرها سنة 1956 بجريدة البصائر يتذكر فيها شيخه وأستاذه " مبارك المليي " ويؤكد على

أن أعمال الرجال المخلصين لا تموت بموتهم وإنما تبقى حية مفيدة بعدهم فهم أحياء خالدون في صفحات التاريخ، ومن أراد الخلود مثلهم فليعمل الأعمال الخالدة ، ويخبر شيخه بأن ينم هادئا في جنة الخلد لأن الشعب أصبح راشد ا واعيا بمهمة نيل الحرية وذلك بفضل عمله الصالح ودعواته التي بثها فيه فيقول 16 :

مضت حجتان وعشر على #مغيب منار العلا الأسطع

أبانا "مبارك" غبت طويلا#فغاب علينا سنا المطلع

معلمنا أنت منقذنا#من الجهل والمصرع المفجع

.....

فنم هادئا في جنان الخلود#فشعبك في رشد أوسع

فأنت مع المخلصين الأباة#مع الساجدين مع الركع

بجنة عدن حباك الإله#مع الشهداء مع الخشع

نلاحظ في هذه الأبيات كيف استثمر أحمد الغوالي مفردات القرآن الكريم ودلالاتها ووظفها فكانت الأبيات غاية في الجمال والروعة ومحملة بدلالات تنسجم مع النص الشعري (جنانالخلود ، جنة عدن ،مع الساجدين ،مع الركع ، مع الخشع).

فكل هذه العبارات موجودة في القرآن الكريم فقد وردت في قوله تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)" الآية 72 (التوبة)

وكذلك في قوله عز وجل: " وإنا بوأنا لإبراهيم مكان البيت أنلا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود " الآية 26 من سورة الحج.

وكذلك قوله عز وجل : "الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ" الآية 2 من سورة المؤمنون يتضح لنا أن الشاعر تعالق مع كل هذه الآيات الكريمة ليبين العمل الجبار الخالص الذي قام به الشيخ "مبارك" من أجل بث الوعي في أوساط الشعب ليدركوا حقيقة العلم والمعرفة وأنها سبيل الحرية وأنه هو بعمله هذا مأجور عند الله تعالى بجنان النعيم التي تجري من تحتها الأنهار خالدا فيها مع عباده الصالحين الصادقين والشهداء الخاشعين الساجدين الراكعين.

ونورد أبياتا أخرى للشاعر حمد الغوالي يتحدث فيها عن اللغة العربية، لغة الضاد ، لغة القرآن الكريم يريد أن تصان هذه اللغة وأن تعود لها بهجتها فيدعو للمحافظة عليها وتطويرها وجعلها لغة للتطور والازدهار والرقى فيقول:17:

زكت لغة البيان على سواها # فأوسعت الكتاب هدى وصدقا

بيان الضاد ليس له مثيل # وليس على مراقي الضاد مرقى

بها الإعجاز في القرآن يتلى # بها علم الجزائر زاد خفقا

ألم ترها مترجمة اختراع # وفالقه لك الإصباح فلقا

يستحضر الشاعر الآية القرآنية : " فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) " الآية 69 من سورة الأنعام.

ومعنى فالق الاصباح : شاق عمود الصبح من ظلمة الليل وسواده أي خالق النهار، ويبدو أن الشاعر تعالق مع الآية الكريمة ليبين أهمية اللغة العربية في إخراج أصحابها من ظلمة الجهل إلى نور العلم خاصة وأنها لغة القرآن الكريم المعجز بألفاظه ومعانيه وأن بيانها ليس له مثيل، ولن ترقى أي لغة أخرى عليها .

وما زال الشاعر يمدح اللغة العربية ويفخر بها ويدافع عنها فنجد هفي القصيدة نفسها يقول: 18 :

قد اختار الإله بها كتابا # دعا الثقلين إيمانا وومقا

فقسمتنا تجاه الأم ضيري # أعدلا أن نعق الأم عقا

فكم قاست مكاتبها ضياعا # من الأعداء تمزيقا وحرقا

وكم لاقت ولا زالت تلاقي # ملاحدة بها هضما وحمقا

في هذه الأبيات يتناص الشاعر مع الآية الكرية في قوله تعالى "لِكَاذِبِ سَمَةُ ضِيرَى (22)" الآية 22 من سورة النجم، ومعنى قسمة ضيرى أي قسمة غير مستوية ناقصة غير تامة ، وقد وظف الشاعر هذه الآية ليوضح أن الدور الذي كان تجاه اللغة العربية كان غير عادل فقد أهملت وقاست كثيرا وهُملت من طرف الملحدين أعدائها .

ثم يلج الشاعر بالتناص على أهمية اللغة العربية وأنهادات فضل عظيم على الكثير من الأمم التي أخذت منها عن طريق الترجمة، خاصة في الماضي البعيد في العصر الذهبي للأمة الإسلامية فنجدته يقول في قصيدة بعنوان " لغة الضاد أم كل صعود "19:

لغة الضاد أم كل صعود# يتراءى في الغرب منذ زمان
صعد الغرب يوم ترجم منها# أية الكون آية العمران
إن أجدادنا لدوله فرس# علموه ودولة الرومان
إلى أن يقول :

وانتشق من شذاته فهي برد# وسلام على حماة البيان

فمن الواضح أن النص الشعري جاء متواشجا متماهيا مع النسيج القرانيفي قوله تعالى : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69)" الآية 69 من سورة الأنبياء.

فقد جاء التناص مشابها لماورد في القرآن تركيبا ومضمونا، ومنسجما مع سياق الحديث حيث كانت لغة الضاد بردا وسلاما على كل منأخذ منها ومازال يفعل .

ولما كانت القصة القرآنية واحدة من أبرز مرجعيات الشعراء وأكثرها تجليا و حضورًا وتأثيرا ، بما تحققة لنصوصهم من تواصل مع القارئ فإننا نجد الشاعر أحمد الغوالي قد نهل من معين القصص القرآني في نصه الشعري ، فأكسبه ذلك عمقا وتفاعلا وإثراء ، إلى جانب ما تناص به مع الآيات القرآنية السابقة الذكر.

ففي قصيدته التي تحمل عنوان " يا شباب " يقول20:

أتجهل نملة نادات لنمل# بأن يلج المساكن والمراحا
دعته لاتحاد صار حتما# فلبأها وحققه نجاحا
فهلا تقتدرون إذا التمحتم# بوادي النمل ذاك الإلتماحا
ألسنا في الطبيعة فوق نمل؟# وإن سقنا له حكما صحاحا

استحضر الشاعر قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع النملة فهو واقع تحت تأثير قوله تعالى : "حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ اللَّيْلِ اتَّخَذَتِ النَّمْلَةُ يَأْتِيهَا النَّملُادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُونُ وَجُنُودُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنَا شُكْرُ نِعْمَتِكَ أَتِيًّا نَعْمَتْ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنَا عَمَلٌ صَالِحٌ أَتْرَضُهُ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)" الآية 18 - 19 سورة النمل

فقد حافظ النص الشعري على المعنى القرآني ، فالشاعر يريد من شباب الأمة أن يأخذ العبرة من هذه القصة القرآنية، ويتحد كما اتحد النمل ودخلوا مساكنهم حتى لا تحطمهم خيول جنود سليمان بحوافرها فقد سمعوا إلى كلام

النملة التي طلبت منهم ذلك، والشاعر، يريد من شباب الأمة أن يسمع إلى الشيوخ المصلحين دعاة الأمة الذين يرومون اتحادا والتحامالشبابها حتى يحققون النصر ويقهرون العدو.

وفي سياق حديث الشاعر عن بلاده وفخره بها وبثورتها نجده في السنة الثانية لاندلاع الثورة التحريرية الكبرى ينشر قصيدة بعنوان "بلادي كوثر الثوار" يقول في مطلعها21:

بلادي كوثر الثوار بشري # لنا بالكوثر الثوري بشري

فإن تلك جنة الدنيا بلادي # فمن إرم لعاد صنت ذكرى

في هذين البين يتضح لنا تناص الشاعر مع القصص القرآني في ذكره " فمن إرم لعاد " وذلك ما جاء في قوله تعالى في سورة الفجر مثلاً " إرم ذات العماد (7) التي لم يخلق مثلها في البلاد (8) " على أن قصة هذه القبيلة أو الشعب ذكر أكثر من مرة في القرآن الكريم فهم من العرب البائدة وهم الذين بعث فيهم الله رسوله هوداً عليه السلام فأهلها كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً .

ومدينتهم كانت مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها الشجر والأنهار المختلفة فقد استلهم الشاعر قصة هذه المدينة وضمها نصه الشعري محاولاً إسقاط جمال المدينة القديمة على بلده الجزائر التي وصفها بأنها جنة الدنيا التي تزخر هي الأخرى بالجبال والأنهار والغابات وغيرها من آيات الجمال المتنوعة التي حبها الله بها .

الخاتمة :

- مما سبق يتبين أن التناص ممارسة لغوية ودلالية لا مفر لأي شاعر منها ، فالنص الأدبي هو عملية امتصاص واسترجاع الكثير من النصوص السابقة، يتناص الشعراء معها بطرق مختلفة ومستويات متفاوتة.
- النصوص الشعرية لأحمد الغوالي كانت زاخرة بالتناسلات القرآنية، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تشرب الشاعر من منهل القرآن الكريم بحكم تنشئته الدينية و في حضن جمعية العلماء المسلمين فقد حفظ القرآن في سن الرابعة عشر.
- توظيف الشاعر للنص القرآني جاء بما يخدم المعنى الشعري ، ويقوي دلالاته ، ويعمق أفكاره .
- لجأ الشاعر كثيراً إلى تكرار الآية القرآنية في شعره ، وهذا التكرار يمثل العمود الفقري في التناص القرآني في شعر أحمد الغوالي .
- استطاع الشاعر استنطاق النص القرآني المقتبس بجملة كاملة أو مفردة ضمن سياقاته الشعرية ، ففجر ذلك مختلف الدلالات الفكرية والنفسية للنص .
- كانت تناسلات الشاعر مع آيات القرآن الكريم أفراداً وتركيباً أكثر بكثير من استدعاءاته للقصص القرآني حيث جاء في المنزلة الثانية بعد استدعاء الآيات .

الهوامش والإحالات

1. ابن منظور. (1989). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، مادة نصص، ج 6. ص 89.
2. ابراهيم أنيس، و آخرون. (بلا تاريخ). المعجم الوسيط، بيروت: دار الفكر، د ط د ت مادة نص، ص 926.
3. عبد الله الغدامي. (1992). ثقافة الاسئلة. مقالات في النقد و النظرية جدة النادي الادبي ط1، ص 326.
4. محمد مفتاح. (1985). تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ؛ (الإصدار 01). بيروت، المركز الثقافي العربي، لبنان : دار البيضاء، 121.
5. محمد مفتاح. (1985). تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ؛ (الإصدار 01). بيروت، المركز الثقافي العربي، لبنان : دار البيضاء، ص 131.
6. جمال مبارك. (2003). التناص و جمالياته في الشعر الجزائري المعاصر. الجزائر: إصدارات رابطة الإبداع الثقافية
7. عز الدين المناصرة . (2006). علم التناص المقارن. عمان الأردن: دار مجد اللاوي ط1، ص 158.
8. سعيد يقطين . (2006). انفتاح النص الروائي النص و السياق. المركز الثقافي العربي ط 3، ص 92.
9. عبد المالك مرتاض. (1996). بين التناص و التكاثر : الماهية و التطور. السعودية: مجلة قوافل العدد 7، ص 187.
10. عبد المالك مرتاض. (1996). بين التناص و التكاثر : الماهية و التطور. السعودية: مجلة قوافل العدد 7، ص 197.
11. محمد عبد المطلب. (1996). مناورات شعرية . القاهرة : دار الشروق القاهرة ط1، ص 50.
12. أحمد الغوالي . (1999). شاعر الجزائر . باريس: جمع و تنقيح طالب بن زياي و زيد حنون منشورات p4BLISUD، ص 197.
13. المصدر نفسه، ص 165
14. المصدر نفسه، ص 149
15. المصدر نفسه، ص 163
16. المصدر نفسه، ص 173
17. المصدر نفسه، ص 155
18. المصدر نفسه، ص 155
19. المصدر نفسه، ص 154
20. المصدر نفسه، ص 197
21. المصدر نفسه، ص 160

قائمة المراجع

1. ابراهيم أنيس ، و آخرون . (بلا تاريخ). المعجم الوسيط ، بيروت: دار الفكر ، د ط ح د ت مادة نص.
2. ابن منظور. (1989). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف ، مادة نصص ، ج 6.
3. أحمد الغوالي . (1999). شاعر الجزائر . باريس: جمع و تنقيح طالب بن ذياب و زيد حنون منشورات p4BLISUD.
4. جمال مبارك. (2003). التناس و جمالياته في الشعر الجزائري المعاصر . الجزائر : اصدارات رابطة الابداع الثقافية .
5. سعيد يقطين . (2006). انفتاح النص الروائي النص و السياق. المركز الثقافي العربي ط 3.
6. سعيد يقطين. (2006). النص الروائي ، النص و السياق . المركز الثقافي العربي ط 3 .
7. عبد الله الغدامي. (1992). ثقافة الاسئلة . مقالات في النقد و النظرية جدة النادي الادبي ط1.
8. عبد المالك مرتاض. (1996). بين التناس و التكتاب : الماهية و التطور. السعودية: مجلة قوافل ع 7.
9. عز الدين المناصرة . (2006). علم التناس المقارن. عمان الاردن: دار مجد اللاوي ط1 .
10. محمد مفتاح. (1985). تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس) ؛ (الإصدار 01). بيروت ، المركز الثقافي العربي، لبنان : دار البيضاء .
11. محمد عبد المطلب. (1996). مناورات شعرية . القاهرة : دار الشروق القاهرة ط1 .